

عناصر الابتكار

الابتكار هو التفكير بطريقة إبداعية ؛ والتخلص من كل المعوقات والمشاكل التي قد تُقابلك ؛ ولهذا كان الابتكار هام في تخلصك من القلق ؛ والعودة للحياة الطبيعية التي اعتادها الناس . . . وعناصر الابتكار الأساسية هي ما يلي :

- ١ - التخطيط الإستراتيجي .
- ٢ - التفكير الإستراتيجي .
- ٣ - بناء ثقافة الأفراد والمؤسسة وفق معايير إنسانية رفيعة .

أولاً: التخطيط الإستراتيجي:

واضح أن أهم ما يطمح إليه التخطيط هو تحقيق الأهداف بوسائل أفضل وكلفة أقل ؛ ولذلك فإنه لا يكتمل ما لم يتم اختيار الوسائل المناسبة الموصلة إلى الأهداف ؛ ولذا عرفوه بما يلي : العملية التي يتم بواسطتها تصور مستقبل المؤسسة ؛ وعملية تطوير الوسائل ؛ والعمليات الضرورية لتحقيق هذا المستقبل ؛ ولكي ينتج التخطيط الإستراتيجي فإنه ينبغي أن يضع أجوبة صحيحة وكاملة للأسئلة التالية :

- ١ - أين نذهب في مسيرتنا؟
- ٢ - ما هي النقطة أو المنطقة أو البيئة أو المرحلة التي نذهب إليها في كيفيةها وشروطها وظروفها؟
- ٣ - كيف نصل إلى ما نريد؟

لو طبّقنا هذه الأسئلة على مثال في البُعد العسكري أو السياسي ؛ ستوضح أهمية التخطيط الإستراتيجي ودوره في تحقيق النصر أو الهزيمة ؛ فلو أراد قائد عسكري أن يفتح أرضاً ؛ فينبغي له أن يدرس ما يلي :

أولاً: إلى أين يذهب ؟

ثانياً: المنطقة التي يُريد الوصول إليها ؛ في كفيّتها ؛ ومناخها ؛ وطبيعتها .

ثالثاً: كيف يصل إليها ؟

فإنّ التّقصير في دراسة أيّ واحدة من هذه الشروط الثلاث يُخرجه عن الإستراتيجية ؛ وذلك لأنّ الأولى تُحدّد الهدف ؛ والثانية تُعطيّه زمام القيادة فيما بعد الوصول ؛ وترفع من قُدّراته على الحفاظ على الانتصار والتنبوء بالمُستقبل ؛ وتجعله مُستعدّاً له ؛ والثالثة تجعل لأهدافه مصداقية ؛ والمجموع المُكوّن من هذه الخطوات يُعدّ إستراتيجية لعمله ؛ وهكذا الأمر في الأعمال السياسية سواء في مجال الحكومات أو المعارضة أو أيّ مجال آخر ؛ وبهذا يُصبح التخطيط الإستراتيجي كأحد العناصر الهامّة في عملية الابتكار ؛ والقُدرة على وضع الخطط المُستقبلية الناجحة والتنبوء بهدف التطوّر والتنمية والتغيير .

ثانياً: التفكير الإستراتيجي:

لا شكّ أنّ عملية الابتكار والإبداع تستدعي أن تنظر الإدارة العليا للمُؤسّسات إلى المُستقبل البعيد الأمد ؛ وأن تضع له الخطط الكافية المبنية على التفكير المنطقي السليم ؛ ولا ينبغي أن تُعدّ النظرة البعيدة أو التخطيط الطويل الأجل مضيعة للوقت كما قد يحسبه بعض الأفراد الذين يميلون إلى الجوانب العملية أكثر ؛ فيلحّون على المُدراء بالأدوار اليومية أكثر من النظرة المُستقبلية ؛

لأنّ الوقت الذي تستغرقه الإدارة في التفكير هو الآخر نوع من العطاء والاستثمار ؛ وقد يكون على مستوى أرقى وأكثر ربحاً إذ ستنشأ عنه خطوات أساسية في المستقبل تؤمّن العمل ؛ وتحفظ الأدوار ؛ وترتقى بالجميع إلى المستوى الأفضل ؛ فهو في المجموع ليس مضيعة للوقت ولا للطاقات بل هو تكثيف مدروس ومُنتج .

ووفقاً لهذا فإن المنطق السليم يتطلب أن نجعل التفكير والوقت معاً في خدمة الإستراتيجية الإبداعية ؛ وسنكون قادرين على ذلك إذا راعينا بعض الخطوات الهامة ؛ والتي منها ما يلي :

١- إذا استثمرت الإدارة وقتاً كافياً في التفكير الطويل الأمد وفي التخطيط لكيفية تهيئة الوسائل والآليات لتحقيق الأهداف الإستراتيجية سواء في الأفراد أو تكاملية المؤسسات أو إيجاد البرامج الجديدة ونحو ذلك .

٢- إذا آمنت الإدارة بأن التفكير السليم هو أهم خطوة في اتجاه تحقيق الأهداف ، لأنّه ستنشأ عنه خطوات أساسية تُساهم وبقوة في تفعيل الإبداع وفي تحسين مستوى الأداء .

٣- التزم الأفراد مُدراء وعاملون بشرائط الوقت المطلوب في جميع الوظائف والأدوار وبشكل مُتكامل ومُنسجم .

٤- إذا كانت الإدارة تنظر إلى أفراد المؤسسة على اختلاف مُستوياتهم على أنّهم يُمثلون جزءاً من الإستراتيجية ؛ وعُنصرأ هاماً في إنجاح الأعمال والتحسينات في أساليب المؤسسة وإنجازاتها .

وبعكس ذلك إذا كانت آفاق التفكير قصيرة الأمد والأفراد العاملون لا

ينظرون إلى المستقبل إلا من زوايا محدودة؛ والإدارة تُخصّص القليل من الوقت للتفكير؛ فربّما لا تُخصّص أي وقت للتفكير والإبداع على الإطلاق؛ أو تنشغل بمعالجة المشاكل الصغيرة المحدودة والتي لا تنتهي في يوم من الأيام؛ دون أن تكلف نفسها عناء المشاكل المُعقّدة والكبيرة التي تتطلّب التفكير الخلاق والإبداع في الحلول؛ أو تدفع أفرادها لأداء أدوارهم اليومية دون أن تُوسّع في آفاقهم وتطلعاتهم المستقبلية؛ فحينئذ يُمكن أن نحكم على هذه المؤسسة بأنّها عديمة الفكر الإستراتيجي وبالتالي فهي غير مُؤهّلة للقيام بالأدوار الأكبر والأهم؛ والتي بها تتحقّق الأهداف الحقيقية.

إن التفكير السليم والإستراتيجي ليس سهلاً؛ بل هو أمر في غاية التعقيد كما هو في غاية الأهميّة، لأنّه يتطلّب من أصحاب القرار جُملة من الشروط التي يجب القيام بها دائماً حتى يُعدّون من المُبدعين أو الاستراتيجيين؛ بعضها يرتبط في المجموع العام للمؤسسة كما عرفته ممّا تقدّم؛ وبعضها في خصوصيّاتهم الخاصة كأشخاص من سائر البشر؛ والتي منها ما يلي:

١ - توفير الوقت الكافي للتفكير في أيّ أمر من الأمور؛ وتكريضه للنقد والمشاورة؛ والاستماع إلى مُختلف الرّؤى والآراء حوله؛ وخصوصاً في الأمور المُهمّة؛ هذا فضلاً عن الأهم؛ إذ أن الأحكام المُرتجلة أو الخاطفة والسريعة تكون أكثر خطأ وأكثر عُرضة للانتقاد؛ بل ومُعرضة لتداخل الأحكام مع بعضها البعض؛ فيخرج القرار فيها خالياً من التوازن والإنصاف؛ واستخدام عقليّن بدلاً من عقل واحد يُعدّ وسيلة جيدة للتقليل من التحيز في الرّأي أو المحدودية في الفكر؛ فخير الناس من جمع عقول الناس إلى عقله.

ويقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰ ۖ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّىٰ ۖ﴾ (الليل: ٢-١)؛ ﴿وَالْفَجْرُ ۖ﴾ (الفجر: ١-٢)؛ ﴿وَالضُّحَىٰ ۖ﴾ (الضحى: ١-٢)؛ ﴿وَالْعَصْرُ ۖ﴾ (العصر: ١-٢)؛ إن هذه الآيات لتدل دلالة واضحة لا يشوبها شائبة على أن للوقت أهمية عظيمة؛ وخصائص الوقت هي ما يلي:

أ- **سرعة انقضائه**: فهو يمر مر السحاب؛ ويجري جري الرياح؛ ويقول أحد الشعراء:

مرت سنين بالوصال وبالهناء فكأنها من قصرها أيام
ثم انثنت أيام هجر بعدها فكأنها من طولها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

ب- **إن ما مضى منه لا يعود ولا يعوض**: فكل لحظة تمر؛ وكل ساعة تنقضي؛ وكل يوم يمضي ليس في استطاعتنا استغلالها؛ وبالتالي لا يمكن تعويضها؛ فكما قال الحسن البصري: ما من يوم ينشق فجره؛ إلا وينادي: يا ابن آدم؛ أنا خلق جديد؛ وعلى عملك شهيد؛ فتزود مني؛ فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة.

ج- **إنه أنفس ما يملك الإنسان**: هو في الواقع رأس مال الإنسان الحقيقي؛ فكما قال حسن البنا: هو الحياة؛ فما حياة الإنسان إلا الوقت الذي يقضيه من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة. وفي مثل هذا يقول الحسن البصري: يا ابن آدم؛ إنما أنت أيام مجموعة؛ كلما ذهب يوم ذهب بعضك.

د - واجبنا نحو الوقت : الحرص على الاستفادة من الوقت ؛ وفي هذا يقول الحسن البصري : أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم .

لذا علينا أن نحاول جاهدين أن نستفيد من وقتنا بحيث يكون يومنا أفضل من أمسنا ؛ وغدنا أفضل من يومنا .

وقال حكيم : من أمضى يوماً من عمره في غير حق قضاءه ؛ أو فرض أداه ؛ أو مجد أثله ؛ أو حمد حصله ؛ أو خير أسسه ؛ أو علم اقتبسه ؛ فقد عى يومه ؛ وظلم نفسه .

ويقول ابن مسعود : ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت فيه شمسه ؛ ونقص فيه أجلي ؛ ولم يزد فيه عملي .

وقال خير البرية رسول الله ﷺ : نعمتان من نعم الله مغبون فيهما كثير من الناس الصحة ؛ والفراغ .

فإضاعة الوقت أشد من الموت ؛ لأن إضاعة الوقت يقطعك عن الله والدار الآخرة ؛ والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها . ابن القيم

هل فكرت جلياً في قيمة وقتك ؟ هل جلست مع نفسك جلسة مُصارحة ؟ أقصد بها أن تجلس وتُحاسب نفسك على وقتك الذي يُهدر هباءً منثوراً ؛ فلقد خلقنا الله لتعبده ؛ ونجد ونجتهد ؛ ونبني الأرض ؛ ويكون لنا أثر طيب من بعد موتنا ؛ فكما قال الشاعر :

وكن رجلاً إن أتوا بعده يقولون : مر ؛ وهذا الأثر

فهل تركت أثراً لأعمالك الطيبة ؟ أم أنت مثلما قال الشاعر :

قد مات قومٌ وما ماتت مكارمهم . . . وعاش قومٌ وهم في الناس أموات

فمن أي الصنفين أنت؟ هل أنت من الصنف الأول؟ إذاً فهنيئاً لك عيشك الكريم؛ ولكن لا تقل بأنك من الصنف الثاني الذين هم أحياء جسدياً لكنهم أموات فعلاً، أموات ليس لحياتهم هدف؛ وليس لوقتهم قيمة؛ والأدهى ليس لحياتهم معنى؛ فقم الآن واجعل لك من ١٠ إلى ١٥ دقيقة تقضيها مع نفسك؛ تختلي بها؛ نعم اكتب هل تقضي وقتك على أكمل وجه؟ هل تقوم العديد من الأمور بتضييع وقتك؟ أقصد هل تسمح للعديد من الأمور بسرعة ووقتك؟ قف مع نفسك وقفة؛ وتدبر فيها قول الله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۚ﴾ (٣٩) ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۚ﴾ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ (النجم: ٣٩-٤٠-٤١-٤٢).

فما هو سعيك؟ نعم قد تكون هذه الأسئلة لو تمنعنا بها تجعلنا نتضايق أو نشعر بالألم يعتصر أجسامنا على ما فرطنا من أوقاتنا؛ ولكنها ستكون لنا كالدواء الناجح؛ وقد يكون مرراً؛ ولكنه من بعد مشيئة الله سيكون لنا السبب في الشفاء.

فيا ترى هل ستستقطع وقتاً لهذه التساؤلات؟ أقصد هل ستبدأ بإعطاء حياتك قيمة؟ والمغزى الرئيس من الوقت هو أن قيمة الحياة وما سيؤول له شأنك نتيجة مباشرة للقيمة التي ستوليها لوقتك؛ فلتبدأ منذ اليوم صفحة جديدة؛ صفحة ناصعة البياض؛ صفحة بها إنجازاتك التي طالما تمنيت الحصول عليها؛ فالיום باستطاعتك تحقيق ذلك... لو استثمرت وقتك... بعد مشيئة الله سبحانه وتعالى.

٢ - الابتعاد عن المشاعر الساخنة لدى التخطيط أو التفكير؛ أو اتخاذ القرار؛ فإنه من الممكن أن يتغير تفكيرك عندما تتغير مشاعرك؛ لذلك يجب الفصل

بين الأفكار والمشاعر لكي تكون الأعمال أكثر منطقية ؛ ولا يعني هذا تجريد قرارك من المشاعر بل قد نجد في الكثير من الأحيان أن القرار الصحيح هو الذي يمزج بين الفكر والمشاعر ؛ إذ لا يُمكن إهمال الجوانب العاطفية والإنسانية في المدراء والعاملين ؛ وإنّما المقصود أن يكون قرارنا مُنطلقاً من التفكير المنطقي السليم ؛ فقد نجد أن خلط المشاعر في بعض القرارات أفضل ؛ وقد نجد تجريدها أفضل ؛ وهذا أمر إيجابي وبناء ؛ والسليبي يكون في القرار الناشئ من المشاعر بدون وعي ودراية .

٣ - ينبغي أن نضع في بالنا دائماً أنه من الصعب أن نُفكر بطريقة منطقية كاملة ؛ وأن نتجنب الوقوع في الهفوات أثناء التفكير أو العمل أو القرار ما لم نُراعي طرق التفكير السليم والصحيح لتجنب ذلك ؛ وهذا ما يتطلب منّا دائماً التفكير المتزايد ؛ والاستشارة ؛ وتقليب الآراء ؛ وتجنّب المشاعر المفرطة ؛ فبذلك نستطيع أن نُحقق أعمالاً إبداعية مُبتكرة وفعّالة .